التبشير بالنبي محمد ﷺ في العهد القديم

أ. د. رشيد كُهُوس

كلية أصول الدين بتطوان/ جامعة عبدالمالك السعدي- المغرب

الملخص

هذا البحث يتناول دراسة وتحليل مجموعة من الفقرات من الكتاب المقدس عند اليهود "العهد القديم" التي تؤكد صدق نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وتبشير الأنبياء السابقين بمقدمه ورسالته الخالدة والبلد الحرام الذي سيبعث فيه.

فرغم ما تعرض له العهد القديم من التحريف والتبديل والتزوير على يد الأحبار والرهبان، ورغم ما ضحوا به من جهود لطمس كل فقرة أو كلمة تشير من قريب أو من بعيد بالتصريح أو بالتلميح إلى نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعثته ومكانته وفضائله ورسالته الخالدة، فإنه بقي فيه ما يدل على نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

وهذا من تمام حكمة الله تعالى وحجته على المغضوب عليهم والضالين من اليهود والنصارى، كذلك ليزداد إيمان المؤمنين ويقينهم وتشبثهم بدينهم ونبيهم صلى الله عليه وسلم.

Prophecy of the Prophet of Mohamed- peace be upon him- in the Old Testament

Prof. Dr. Rachid Kohouss

Faculty of Theology-University of Abdul Magek al Saadi/Morocco

Abstract

This research talks about the study and the analysis of a group of paragraphs from the Old Testament, which confirm the Prophecy of Mohamed –peace be upon him- and talks about the former prophets that have given tidings about his coming, his message and The Holy Land in which he would be sent.

Despite the alternation of the Old Testament by the (Jewish) rabbis and the (Christian) monks, And despite all the efforts that they have Exerted to obliterate every paragraph or word that mention to the Prophecy of Mohamed –peace be upon him- and his mission, his status, his virtues and his imperishable message, many proofs still confirm his true prophecy.

This shows the complete wisdom of Allah, and his evidence upon those who earned His Anger (such as the Jews), nor of those who went astray (such as the Christians), and in order that the believers' faith, certitude and adherence of their religion and their prophet grow.

بسم الله الرحمن الرحيم وبه ثقتي، الحمد لله الذي هدانا إلى الصراط المستقيم، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي اختصه بالخلق العظيم، وعلى آله وصحبه الذين قاموا بنصرة الدين القويم.

أما بعد؛

فيقول الله تبارك وتعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (سورة الأعراف: ١٥٧).

عن عطاء بن يسار، قال: لقيت عبد الله بن عمرو ﷺ، قلت: أخبرني عن صفة رسول الله ﷺ في التوراة؟ قال: «أجل، والله إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن: ﴿يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا﴾ [الأحزاب: ٤٥]، وحرزا للأميين، أنت عبدي ورسولي، سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ، ولا سخاب في الأسواق، ولا يدفع بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويغفر، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء، بأن يقولوا: لا إله إلا الله، ويفتح بها أعينا عميا، وآذانا صما، وقلوبا غلفا»[١].

انطلاقا مما سبق سأتناول في هذه الدراسة تحليل مجموعة من الفقرات من الكتاب المقدس عند اليهود "العهد القديم" التي تؤكد صدق نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وتبشير الأنبياء السابقين بمقدمه ورسالته الخالدة والبلد الحرام الذي سيبعث فيه.

فرغم ما تعرض له العهد القديم من التحريف والتبديل والتزوير على يد الأحبار والرهبان، ورغم ما ضحوا به من جهود لطمس كل فقرة أو كلمة تشير من قريب أو من بعيد بالتصريح أو بالتلميح إلى نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعثته

ومكانته وفضائله ورسالته الخالدة، فإنه بقي فيه ما يدل على نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

وهذا من تمام حكمة الله تعالى وحجته على المغضوب عليهم والضالين من اليهود والنصارى، كذلك ليزداد إيمان المؤمنين ويقينهم وتشبثهم بدينهم ونبيهم صلى الله عليه وسلم.

فإلى تلكم البشارات من العهد القديم التي تبشر وتثبت وتشهد بنبوة سيدنا محمدﷺ:

- البشارة ١:

"فَيَرْفَعُ رَايَةً لِلأُمَمِ مِنْ بَعِيدٍ، وَيَصْفِرُ لَهُمْ مِنْ أَقْصَى الأَرْضِ، فَإِذَا هُمْ بِالْعَجَلَةِ يَأْتُونَ سَرِيعًا. لَيْسَ فِيهِمْ رَازِحٌ وَلاَ عَاثِرٌ. لاَ يَنْعَسُونَ وَلاَ يَنَامُونَ، وَلاَ تَنْحَلُّ حُزُمُ أَحْقَائِهِمْ، وَلاَ تَنْقَطِعُ سُيُورُ أَحْذِيَتِهِمِ. الَّذِينَ سِهَامُهُمْ مَسْنُونَةٌ، وَجَمِيعُ قِسِيِّهِمْ مَمْدُودَةٌ. حَوَافِرُ خَيْلِهِمْ تُحْسَبُ كَالصَّوَّانِ، وَبَكَرَاتُهُمْ كَالزَّوْبَعَةِ"(٢).

فقوله:"يرفع راية للأمم من بعيد ويصفر لهم..." فالنبي ﷺ هو الراية المرفوعة للأمم كلها، "من بعيد" أي خارج أرض إسرائيل، ويناديهم للحج، وعبر بالصفير على الأذان، قال الله تعالى: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ (سورة الحج: ٢٧).

وقوله: "ليس فيهم رازح ولا عاثر. لا ينعسون ولا ينامون ..."؛ فيه إشارة إلى أصحابه الذين كانوا لا يخافون في الله لومة لائم، ولا يهينون ولا يحزنون، ولا تأخذهم عن الحق غفلة...، كانوا تتورم منهم الأقدام بالليل ولا ينامون، وهموا الذين كانوا يجاهدون بسهامهم وسيوفهم وخيولهم...

- **البشارة ٢:**

"اَلشَّعْبُ السَّالِكُ فِي الظُّلْمَةِ أَبْصَرَ نُورًا عَظِيمًا. الْجَالِسُونَ فِي أَرْضِ ظِلاَلِ الْمَوْتِ أَشْرَقَ عَلَيْهِمْ نُورٌ. أَكْثَرْتَ الأُمَّةَ. عَظَّمْتَ لَهَا الْفَرَحَ. يَفْرَحُونَ أَمَامَكَ كَالْفَرَحِ فِي الْحَصَادِ. كَالَّذِينَ يَبْتَهِجُونَ عِنْدَمَا يَقْتَسِمُونَ غَنِيمَةً. لأَنَّ نِيرَ ثِقْلِهِ، وَعَصَا كَتِفِهِ، وَقَضِيبَ مُسَخِّرِهِ كَسَّرْتَهُنَّ كَمَا فِي يَوْمِ مِدْيَانَ. لأَنَّ كُلَّ سِلاَحِ الْمُتَسَلِّحِ فِي الْوَغَى وَكُلَّ رِدَاءٍ مُدَحْرَجٍ فِي الدِّمَاءِ، يَكُونُ لِلْحَرِيقِ، مَأْكَلاً لِلنَّارِ. لأَنَّهُ يُولَدُ لَنَا وَلَدٌ وَنُعْطَى ابْنًا، وَتَكُونُ الرِّيَاسَةُ عَلَى كَتِفِهِ، وَيُدْعَى اسْمُهُ عَجِيبًا، مُشِيرًا، رَئِيسَ السَّلاَمِ"(٣).

قوله :"اَلشَّعْبُ السَّالِكُ فِي الظُّلْمَةِ أَبْصَرَ نُورًا عَظِيمًا. الْجَالِسُونَ فِي أَرْضِ ظِلاَلِ الْمَوْتِ أَشْرَقَ عَلَيْهِمْ نُور..." يصف حالة العرب قبل الإسلام، وبقوا على حالهم حتى أشرق عليهم نور سيدنا محمد ﷺ.

وقوله : "أَكْثَرْتَ الأُمَّةَ. عَظَّمْتَ لَهَا الْفَرَحَ. يَفْرَحُونَ أَمَامَكَ كَالْفَرَحِ فِي الْحَصَادِ. كَالَّذِينَ يَبْتَهِجُونَ عِنْدَمَا يَقْتَسِمُونَ غَنِيمَةً": يصف حالة الأمة حينما أشرقت عليها شمس خير البرية ﷺ، وهذا وارد في كتب التاريخ والمغازي والسير، الفرح الذي عم الكون بميلاده ومبعثه ﷺ، والنور الذي انتشر في الوجود...

قوله: "لأَنَّ نِيرَ ثِقْلِهِ، وَعَصَا كَتِفِهِ، وَقَضِيبَ مُسَخِّرِهِ كَسَّرْتَهُنَّ كَمَا فِي يَوْمِ مِدْيَانَ" وفي ترجمة أخرى: "لأنك فككت النير الذي كان أذلهم، والعصا التي كانت على أكتافهم، وكسرت القضيب الذي كان يستبعد بهم مثل كسرك من كسرت في يوم مدين"؛ فهي صريحة في النبي ﷺ ولا ينكرها إلا حاقد أو جاهل، وهذا نجده في قوله سبحانه وتعالى ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (سورة الأعراف: ١٥٧).

وقوله: "وَتَكُونُ الرِّيَاسَةُ عَلَى كَتِفِهِ"؛ إشارة إلى خاتم النبوة الذي كان على كتفه ﷺ، وقوله: "وَيُدْعَى اسْمُهُ عَجِيبًا": أي أحمد ومحمد، وقوله: "رَئِيسَ السَّلاَمِ": فالنبي ﷺ ببعثته جمع الله بين القبائل العربية المتناحرة، وببعثته انتشر السلام في العالم، وببعثته عم الأمن والأمان والطمأنينة والسلام.

- البشارة ٣:

"هُوَذَا عَبْدِي الَّذِي أَعْضُدُهُ مُخْتَارِي الَّذِي سُرَّتْ بِهِ نَفْسِي. وَضَعْتُ رُوحِي عَلَيْهِ فَيُخْرِجُ الْحَقَّ لِلأُمَمِ. لاَ يَصِيحُ وَلاَ يَرْفَعُ وَلاَ يُسْمِعُ فِي الشَّارِعِ صَوْتَهُ. قَصَبَةً مَرْضُوضَةً لاَ يَقْصِفُ وَفَتِيلَةً خَامِدَةً لاَ يُطْفِئُ. إِلَى الأَمَانِ يُخْرِجُ الْحَقَّ. لاَ يَكِلُّ وَلاَ يَنْكَسِرُ حَتَّى يَضَعَ الْحَقَّ فِي الأَرْضِ وَتَنْتَظِرُ الْجَزَائِرُ شَرِيعَتَهُ. هَكَذَا يَقُولُ اللَّهُ الرَّبُّ خَالِقُ السَّمَاوَاتِ وَنَاشِرُهَا بَاسِطُ الأَرْضِ وَنَتَائِجِهَا مُعْطِي الشَّعْبِ عَلَيْهَا نَسَمَةً وَالسَّاكِنِينَ فِيهَا رُوحاً. أَنَا الرَّبَّ قَدْ دَعَوْتُكَ بِالْبِرِّ فَأُمْسِكُ بِيَدِكَ وَأَحْفَظُكَ وَأَجْعَلُكَ عَهْداً لِلشَّعْبِ وَنُوراً لِلأُمَمِ لِتَفْتَحَ عُيُونَ الْعُمْيِ لِتُخْرِجَ مِنَ الْحَبْسِ الْمَأْسُورِينَ مِنْ بَيْتِ السِّجْنِ الْجَالِسِينَ فِي الظُّلْمَةِ. أَنَا الرَّبُّ هَذَا اسْمِي وَمَجْدِي لاَ أُعْطِيهِ لِآخَرَ وَلاَ تَسْبِيحِي لِلْمَنْحُوتَاتِ. هُوَذَا الأَوَّلِيَّاتُ قَدْ أَتَتْ وَالْحَدِيثَاتُ أَنَا مُخْبِرٌ بِهَا. قَبْلَ أَنْ تَنْبُتَ أُعْلِمُكُمْ بِهَا"(٤).

ألا تشير هذه الفقرات إلى نبوة سيدنا محمد المختار ﷺ الذي اختاره الله واصطفاه لحمل رسالته الخاتمة، وتشير كذلك بصريح عباراتها إلى ما أكرمه الله تعالى به مكارم الأخلاق وجميل الصفات. ألم تجب أم المؤمنين الصديقة عائشة رضي الله عنها لما سألها عبد الله الجدلي ﷺ عن خلق رسول الله ﷺ قالت: عَائِشَةَ عَنْ خُلُقِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَتْ «لَمْ يَكُنْ فَاحِشًا وَلاَ مُتَفَحِّشًا وَلاَ صَخَّابًا فِي الأَسْوَاقِ، وَلاَ يَجْزِى بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ، وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَصْفَحُ»(٥).

– البشارة ٤:

"هُوَذَا قَدْ جَعَلْتُهُ شَارِعًا لِلشُّعُوبِ، رَئِيسًا وَمُوصِيًا لِلشُّعُوبِ. هَا أُمَّةٌ لاَ تَعْرِفُهَا تَدْعُوهَا، وَأُمَّةٌ لَمْ تَعْرِفْكَ تَرْكُضُ إِلَيْكَ"(٦).

فالنبي ﷺ هو المشرع لكل الشعوب، والاقتداء به واتباع سنته ومحبته... لا يقتصر على العرب فقط، ولا على أهل مكة والمدينة فقط، بل ذلك يلزم جميع الناس والشعوب بمختلف أجناسهم وأعراقهم ولغاتهم وقبائلهم... فهو ﷺ بُعث إلى الأحمر والأسود، والفصيح والأعجم، والإنس والجن...

قوله: "هَا أُمَّةٌ لاَ تَعْرِفُهَا تَدْعُوهَا": إشارة إلى كتبه إلى أمراء وملوك عصره ودعوتهم إلى دين الإسلام.

وقوله: "وَأُمَّةٌ لَمْ تَعْرِفْكَ تَرْكُضُ إِلَيْكَ": إشارة إلى الوفود التي وفدت على رسول الله ﷺ للإيمان به، وإشارة أيضا إلى كل من أتى إليه ليؤمن به ويبايعه.

– البشارة ٥:

"قُومِي اسْتَنِيرِي لأَنَّهُ قَدْ جَاءَ نُورُكِ، وَمَجْدُ الرَّبِّ أَشْرَقَ عَلَيْكِ. لأَنَّهُ هَا هِيَ الظُّلْمَةُ تُغَطِّي الأَرْضَ وَالظَّلاَمُ الدَّامِسُ الأُمَمَ. أَمَّا عَلَيْكِ فَيُشْرِقُ الرَّبُّ، وَمَجْدُهُ عَلَيْكِ يُرَى. فَتَسِيرُ الأُمَمُ فِي نُورِكِ، وَالْمُلُوكُ فِي ضِيَاءِ إِشْرَاقِكِ. «ارْفَعِي عَيْنَيْكِ حَوَالَيْكِ وَانْظُرِي. قَدِ اجْتَمَعُوا كُلُّهُمْ. جَاءُوا إِلَيْكِ. يَأْتِي بَنُوكِ مِنْ بَعِيدٍ وَتُحْمَلُ بَنَاتُكِ عَلَى الأَيْدِي. حِينَئِذٍ تَنْظُرِينَ وَتُنِيرِينَ وَيَخْفُقُ قَلْبُكِ وَيَتَّسِعُ، لأَنَّهُ تَتَحَوَّلُ إِلَيْكِ ثَرْوَةُ الْبَحْرِ، وَيَأْتِي إِلَيْكِ غِنَى الأُمَمِ. تُغَطِّيكِ كَثْرَةُ الْجِمَالِ، بُكْرَانُ مِدْيَانَ وَعِيفَةَ كُلُّهَا تَأْتِي مِنْ شَبَا. تَحْمِلُ ذَهَبًا وَلُبَانًا، وَتُبَشِّرُ بِتَسَابِيحِ الرَّبِّ. كُلُّ غَنَمِ قِيدَارَ تَجْتَمِعُ إِلَيْكِ. كِبَاشُ نَبَايُوتَ تَخْدِمُكِ. تَصْعَدُ مَقْبُولَةً عَلَى مَذْبَحِي، وَأُزَيِّنُ بَيْتَ جَمَالِي. مَنْ هؤُلاَءِ الطَّائِرُونَ كَسَحَابٍ وَكَالْحَمَامِ إِلَى بُيُوتِهَا؟ إِنَّ الْجَزَائِرَ تَنْتَظِرُنِي، وَسُفُنَ تَرْشِيشَ فِي الأَوَّلِ، لِتَأْتِيَ بِبَنِيكِ مِنْ بَعِيدٍ وَفِضَّتُهُمْ وَذَهَبُهُمْ مَعَهُمْ، لاسْمِ الرَّبِّ إِلهِكِ وَقُدُّوسِ إِسْرَائِيلَ، لأَنَّهُ قَدْ مَجَّدَكِ. «وَبَنُو

الْغَرِيبِ يَبْنُونَ أَسْوَارَكِ، وَمُلُوكُهُمْ يَخْدِمُونَكِ. لأَنِّي بِغَضَبِي ضَرَبْتُكِ، وَبِرِضْوَانِي رَحِمْتُكِ. وَتَنْفَتِحُ أَبْوَابُكِ دَائِمًا. نَهَارًا وَلَيْلاً لاَ تُغْلَقُ. لِيُؤْتَى إِلَيْكِ بِغِنَى الأُمَمِ، وَتُقَادَ مُلُوكُهُمْ. لأَنَّ الأُمَّةَ وَالْمَمْلَكَةَ الَّتِي لاَ تَخْدِمُكِ تَبِيدُ، وَخَرَابًا تُخْرَبُ الأُمَمُ. مَجْدُ لُبْنَانَ إِلَيْكِ يَأْتِي. السَّرْوُ وَالسِّنْدِيَانُ وَالشَّرْبِينُ مَعًا لِزِينَةِ مَكَانِ مَقْدِسِي، وَأُمَجِّدُ مَوْضِعَ رِجْلَيَّ. «وَبَنُو الَّذِينَ قَهَرُوكِ يَسِيرُونَ إِلَيْكِ خَاضِعِينَ، وَكُلُّ الَّذِينَ أَهَانُوكِ يَسْجُدُونَ لَدَى بَاطِنِ قَدَمَيْكِ، وَيَدْعُونَكِ: مَدِينَةَ الرَّبِّ"[٧].

وفي الفقرات السابقة إشارات واضحة إلى بيت الله الحرام، الكعبة المشرفة، وتصريح بنبوة سيدنا محمد ﷺ، فـ"قيدار" هو ابن ذبيح الله إسماعيل كما جاء في العهد القديم[٨] ، قال ابن القيم رحمه الله: "هو جد النبي ﷺ وهو أخو بناوت"[٩]، و"نبايوت" أو "نباوت" هم أولاد نبت بن إسماعيل عليه السلام.

كانت مكة في الجاهلية تعيش في ظلام دامس، فأشرق عليها نور الله تعالى، فاستنارت وأضاءت أرجاؤها بمبعث خير البرية ﷺ، وهذا ما تشير إليه الفقرة:" قومي استنيري لأنه قد جاء نورك ومجد الرب أشرق عليك".

وتشير الفقرة :"فتسير الأمم في نورك والملوك في ضياء إشراقك..." إلى كل الأمم والأجناس التي تقبل على بيت الله الحرام من كل فج عميق، يرفعون أصواتهم بالتلبية والتهليل والتسبيح والتحميد...

وتشير الفقرة: "كل غنم قيدار تجتمع إليك... تصعد مقبولة على مذبحي وازين بيت جمالي": تشير إلى الهدايا التي يجلبوها الناس إليها في الحج والعمرة من ذبح الهدي وغيره...

"كباش نبايوت تخدمك": أي سدنة الكعبة وهم من ولد نبت بنت قيدار بن إسماعيل عليه السلام.

"وبنو الغريب يبنون أسوارك وملوكهم يخدمونك": إشارة غسل الكعبة وتجديد قماشها وبنائها، على يد أمرائها.

"وتنفتح أبوابك دائما. نهارا وليلا لا تغلق": وهذا حال الكعبة، أبوابها مفتوحة بالليل والنهار.

وبنو الذين قهروك يسيرون إليك خاضعين وكل الذين أهانوك يسجدون لدى باطن قدميك": ففي موسم الحج تتساوى الملوك والشعوب، الحكام والمحكومين، لا فرق بينهم كلهم خاضعون ومتوسلون بلباس أبيض واحد، يسجدون عن باب الكعبة وباطن قدميها.

"ويدعونك مدينة الرب": أي حرم الله، وبيت الله...

- البشارة ٦:

"اَللَّهُ جَاءَ مِنْ تِيمَانَ وَالْقُدُّوسُ مِنْ جَبَلِ فَارَانَ. سِلاَهْ. جَلاَلُهُ غَطَّى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضُ امْتَلَأَتْ مِنْ تَسْبِيحِهِ. وَكَانَ لَمَعَانٌ كَالنُّورِ. لَهُ مِنْ يَدِهِ شُعَاعٌ وَهُنَاكَ اسْتِتَارُ قُدْرَتِهِ. قُدَّامَهُ ذَهَبَ الْوَبَأُ وَعِنْدَ رِجْلَيْهِ خَرَجَتِ الْحُمَّى"(١٠).

قوله:"جبل فاران": و"فاران" جبل من جبال مكة، كما جاء في سفر التكوين عن نبي الله إسماعيل:"وكان الله مع الغلام فكبر. وسكن في البرية وكان ينمو رامي قوس. وسكن في برية فاران"(١١) ، ولا شك أن نبي الله إسماعيل عليه السلام كان سكناه بمكة.

وقوله: "وكان لمعان النور": أي ظهور النور المحمدي، وشروق شمسه التي عمت البرية. "قدامه ذهب الوبا": لما دخل رسول الله ﷺ المدينة أضاء منها كل شيء، ونقل وباؤها الذي كان فيها إلى خارجها.

فالمدينة قبل مجيء سيدنا رسول الله ﷺ كانت موبُوْءَة بالحمى، لا يكاد يدخلها أحد إلاّ أصابته، وفي حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أنَّ رسول الله ﷺ

وأصحابه ﷺ عندما قدموا مكة لعمرة القضاء أو القصاص قال المشركون: "إنّه يقدم عليكم وقد وهنتهم حمّى يثرب"(١٢).

وقد أصابت هذه الحمّى أصحاب رسول الله ﷺ أول قدومهم المدينة، فدعا رسول الله ﷺ الله تعالى كي يذهب هذا الوباء.

عَنْ أم المؤمنين عَائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّهَا قَالَتْ: «لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ وُعِكَ أَبُو بَكْرٍ وَبِلاَلٌ. قَالَتْ: فَدَخَلْتُ عَلَيْهِمَا فَقُلْتُ: يَا أَبَتِ كَيْفَ تَجِدُكَ؟ وَيَا بِلاَلُ كَيْفَ تَجِدُكَ؟ قَالَتْ: فَكَانَ أَبُو بَكْرٍ إِذَا أَخَذَتْهُ الْحُمَّى يَقُولُ:

كُلُّ امْرِئٍ مُصَبَّحٌ فِي أَهْلِهِ وَالْمَوْتُ أَدْنَى مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ

وَكَانَ بِلاَلٌ إِذَا أُقْلِعَ عَنْهُ الْحُمَّى يَرْفَعُ عَقِيرَتَهُ وَيَقُولُ:

ألا ليت شعري هل أبيتنَّ ليلةً بوادٍ وحولي إذخرٌ وجَلِيلُ

وهل أرِدَنْ يوماً مياهَ مَجَنَّةٍ وهل يَبدُوَنْ لي شامةٌ وطفيلُ

قَالَتْ عَائِشَةُ: فَجِئْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأَخْبَرْتُهُ فَقَالَ: ﴿اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الْمَدِينَةَ كَحُبِّنَا مَكَّةَ أَوْ أَشَدَّ، وَصَحِّحْهَا وَبَارِكْ لَنَا فِي صَاعِهَا وَمُدِّهَا، وَانْقُلْ حُمَّاهَا فَاجْعَلْهَا بِالْجُحْفَةِ﴾»(١٣).

وقد استجاب الله تعالى لدعاء حبيبه ونبيه وصفوة خلقه ﷺ فنقل عنها الحمى، ومنع عن المدينة الطاعون: عن أبي عسيب مولى رسول الله ﷺ يقول: قال رسول الله ﷺ: ﴿أتاني جبريل عليه السلام بالحمى والطاعون، فأمسكت الحمى بالمدينة، وأرسلت الطاعون إلى الشام، فالطاعون شهادة لأمتي ورحمة لهم ورجس على الكافرين﴾(١٤).

– البشارة ٧:

«قَبْلَ مَا صَوَّرْتُكَ فِي الْبَطْنِ عَرَفْتُكَ، وَقَبْلَ مَا خَرَجْتَ مِنَ الرَّحِمِ قَدَّسْتُكَ. جَعَلْتُكَ نَبِيًّا لِلشُّعُوبِ». إِلَى كُلِّ مَنْ أُرْسِلُكَ إِلَيْهِ تَذْهَبُ وَتَتَكَلَّمُ بِكُلِّ مَا آمُرُكَ بِهِ. لاَ تَخَفْ مِنْ وُجُوهِهِمْ، لأَنِّي أَنَا مَعَكَ لأُنْقِذَكَ، هَا قَدْ جَعَلْتُ كَلاَمِي فِي فَمِكَ. أُنْظُرْ! قَدْ وَكَّلْتُكَ هذَا الْيَوْمَ عَلَى الشُّعُوبِ وَعَلَى الْمَمَالِكِ، لِتَقْلَعَ وَتَهْدِمَ وَتُهْلِكَ وَتَنْقُضَ وَتَبْنِيَ وَتَغْرِسَ»[١٥].

قوله: "قبل ما صورتك في البطن عرفتك، وقبل ما خرجت من الرحم قدستك": أي أن الله تعالى خلق روح سيدنا محمد ﷺ قبل كل المخلوقات، فكان نوره في الأزل قبل أن يصور في بطن أمه، وعظمه ورفع قدره وجاهه وجعله أشرف الكائنات وسيد السادات، وأكرم السابقين واللاحقين، وخير خلق الله أجمعين... ويشهد لبداية هذا النص قوله عز اسمه: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ (سورة آل عمران: ٨١).

ولله در القائل:

بأحمد كل الأرض نارت وأشرقت ففي نوره كلّ يجيء ويذهب

بداه جلال الحق للخلق رحمة فكل الورى في برّه يتقلب

بدا مجده من قبل نشأة آدما وأسماؤه من قبل في العرش تُكتب

قوله: "جعلتك نبيا للشعوب": إن كان أنبياء الله تعالى ورسله عليهم الصلاة والسلام قبل النبي ﷺ يرسلون إلى أقوامهم خاصة، فإن النبي ﷺ أرسله الله إلى الناس كافة...

قوله: "تتكلم بكل ما آمرك به، لا تخف من وجوههم لأني أنا معك": يشهد له قوله سبحانه وتعالى: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ (٩٤) إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ (٩٥)﴾ (سورة الحجر).

قوله: "قد جعلت كلامي في فمك": يشهد له قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى (٤)﴾ (سورة النجم).

أما بقية النص:" قَدْ وَكَّلْتُكَ هذَا الْيَوْمَ عَلَى الشُّعُوبِ وَعَلَى الْمَمَالِكِ، لِتَقْلَعَ وَتَهْدِمَ وَتُهْلِكَ وَتَنْقُضَ وَتَبْنِيَ وَتَغْرِسَ" ففيه إشارة إلى غزواته وسراياه، ودعوته وبنائه للأمة والمجتمع...

– البشارة ٨:

"يُقِيمُ لَكَ الرَّبُّ إِلهُكَ نَبِيًّا مِنْ وَسَطِكَ مِنْ إِخْوَتِكَ مِثْلِي. لَهُ تَسْمَعُونَ. حَسَبَ كُلِّ مَا طَلَبْتَ مِنَ الرَّبِّ إِلهِكَ فِي حُورِيبَ يَوْمَ الاجْتِمَاعِ قَائِلاً: لاَ أَعُودُ أَسْمَعُ صَوْتَ الرَّبِّ إِلهِي وَلاَ أَرَى هذِهِ النَّارَ الْعَظِيمَةَ أَيْضًا لِئَلاَّ أَمُوتَ. قَالَ لِيَ الرَّبُّ: قَدْ أَحْسَنُوا فِي مَا تَكَلَّمُوا. أُقِيمُ لَهُمْ نَبِيًّا مِنْ وَسَطِ إِخْوَتِهِمْ مِثْلَكَ، وَأَجْعَلُ كَلاَمِي فِي فَمِهِ، فَيُكَلِّمُهُمْ بِكُلِّ مَا أُوصِيهِ بِهِ"(١٦).

انظر إلى عبارة: "من وسطك من إخوتك" "أقيم لهم نبيا من وسط إخوتهم مثلك": لم يقل منهم بل من إخوتهم، فهم ينسبون لنبي الله إسحاق عليه السلام، فيكون المعنى من إخوتهم أي من جهة نبي الله إسماعيل عليه السلام، والنبي محمد ﷺ من ذرية نبي الله إسماعيل عليه السلام.

"وأجعل كلامي في فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه": أي القرآن العظيم والذكر الحكيم، ليبلغه للناس ويحكم به بينهم، ويقيم به أمور الدنيا والدين... ويأمرهم بما يأمره به الله تعالى ويوصيه به، وينهاهم عما ينهاه عنه.

– البشارة ٩:

"جَاءَ الرَّبُّ مِنْ سِينَاءَ، وَأَشْرَقَ لَهُمْ مِنْ سَعِيرَ، وَتَلأْلأَ مِنْ جَبَلِ فَارَانَ، وَأَتَى مِنْ رِبْوَاتِ الْقُدْسِ، وَعَنْ يَمِينِهِ نَارُ شَرِيعَةٍ لَهُمْ"(١٧).

قوله: "جَاءَ الرَّبُّ مِنْ سِينَاءَ" إشارة إلى إعطائه التوراة لكليم الله موسى عليه السلام، وقوله :"وأشرق لهم من سعير": أي إعطاؤه الإنجيل للمسيح عيسى بن مريم عليهما السلام، "وتلألأ من جبل فاران": إنزاله القرآن على سيدنا محمد ﷺ بجبل مكة المكرمة.

وفي الختام فهذه النماذج المذكورة أعلاه شاهدة بنبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وآله سلم، وبعض صفاته وأخلاقه، وحال أمته حين بعثته وشروق شمسه، شهادة لا تقبل التضليل.. ولا ينكر هذا إلا أهل الزيغ والضلال من الذي يصدون الناس عن دين الحق ويحاولون أن يقلبوا الموازين ويغطوا شمس الحقيقة بغربال الزيف والتزوير والتحريف؛ ولكنهم نسوا أن شمس الحقيقة لا تغرب، نسوا أن الليل ينجلي ليأتي النهار.

الهوامش

(١) صحيح البخاري، كتاب البيوع، باب كراهية السخب في السوق، ح٢٠١٨.

(٢) العهد القديم: سفر إشعياء: الإصحاح ٥، ٢٦-٣٠.

(٣) العهد القديم: سفر إشعياء: الإصحاح ٩، ١-٦.

(٤) العهد القديم: سفر إشعياء: الإصحاح ٤٢، ١-٩.

(٥) سنن الترمذي، كتاب البر والصلة، باب خلق النبي ﷺ، ح٢٠١٦.

(٦) العهد القديم: سفر إشعياء: الإصحاح ٥٥، الفقرات: ٤-٥.

(٧) العهد القديم: سفر إشعياء: الإصحاح ٦٠، الفقرات: ١-١٤.

(٨) انظر: سفر التكوين، الإصحاح ٢٥، الفقرة: ١٣.

(٩) هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، تحقيق: محمد أحمد الحاج، دار القلم- دار الشامية، جدة – السعودية، ط١: ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م، ٣٥٨/٢.

(١٠) العهد القديم: سفر حبقوق: الإصحاح٣، الفقرات: ٣-٥.

(١١) الإصحاح:٢١، الفقرات: ٢٠-٢١.

(١٢) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب عمرة القضاء، ح٤٠٠٩.

(١٣) صحيح البخاري، كتاب فضائل الصحابة ﷺ، باب مقدم النبي ﷺ وأصحابه، ح٣٧١١.

(١٤) مسند أحمد بن حنبل، ٨١/٥. قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح.

(١٥) العهد القديم، إرميا، الإصحاح ١، الفقرات: ٥-١٠.

(١٦) العهد القديم، سفر التثنية، الإصحاح ١٨، الفقرة: ١٥-١٨.

(١٧) العهد القديم، سفر التثنية، الإصحاح ٣٣، الفقرة: ٢.